من النفاق حتى لا يكون للايمان فيه خوز ابرع فقد عرفت بهذا ان خوف العارفين من سوء الخاتمة
وان سببه امور متقدمة منها البدع ومنها المعاصي ومنها النفاق ومتى يخلو العبد عن جملة
ذلك وان ظن انه قد خلا عنه فهو النفاق اذ قيل من امن من النفاق فهو منافق وقال بعضهم
لبعض العارفين اني اخاف على نفسي النفاق فقال له لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال
العارفون بين الالتفات الى السابقة والخاتمة خائفين منهما ولذلك قال صلى الله عليه وسلم العبد
المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله
قاض فيه **بيان معنى سوء الخاتمة** **فان قلت** ان اكثر خوف هؤلاء رجع الى الخاتمة
فما معنى سوء الخاتمة **فاعلم** ان سوء الخاتمة على رتبتين احدهما اعظم من الاخرى فاما
الرتبة العظيمة الهائلة ان يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود
فيقبض الروح في حالة غلبة الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقد الجحود حجابا بينه
وبين الله سبحانه ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي دونها ان
يغلب على قلبه عند الموت حب امر من امور الدنيا وشهوة من شهواتها فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه
حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فيتفق قبض روحه في تلك الحالة فيكون استغراق قلبه
بذلك منكسا راسه الى الدنيا وصارفا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب
ومهما حصل الحجاب نزل العذاب اذ نار الله الموقدة لا تاخذ الا المحجوبين فاما المؤمن السليم قلبه عن
حب الدنيا المصروف همته الى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فان نورك اطفأ لهبي فمهما
اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالامر مخطر لان المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب
صفة اخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب الا باعمال
الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الاعمال فلا مطمع في عمل ولا مطمع في رجوع الى الدنيا

فلا مطمع في الرجوع الى الدنيا

ليتدارك

١٦

ليتدارك ما فات وعند ذلك تعظم الحسرة الا ان اصل الايمان وحب الله اذا كان قد رسخ في القلب
مدة طويلة وتاكد ذلك بالاعمال الصالحة فانه يمحو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له
عند الموت فان كان ايمانه في القوة الى حد مثقال اخرجه من النار في زمان قريب وان كان اقل
من ذلك طال مكثه في النار ولكن لو لم يكن الا مثقال حبة فلا بد ان يخرجه من النار ولو بعد آلاف
سنين **فان قلت** فما ذكرته يقتضي ان يسرع النار اليه عقيب موته فما باله يؤخر الى يوم
القيمة ويمهل طول هذه المدة **فاعلم** ان من انكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الايمان
ونور القرآن بل الصحيح عند ذوي الابصار ما صحت به الاخبار وهو ان القبر اما حفرة من حفر
النيران او روضة من رياض الجنان وانه ينفتح الى قبر المعذب سبعون بابا من الجحيم كما وردت به
الاخبار فلا يفارقه روحه الا وقد نزل به البلاء ان كان قد شقي بسوء الخاتمة وانما تختلف اصناف
العذاب باختلاف الاوقات فيكون سوال منكر ونكير عند الوضع في القبر والتعذيب بعد ذلك
ثم المناقشة في الحساب والافتضاح على ملاء الاشهاد في القيمة ثم بعد ذلك خطر الصراط
وهول الزبانية الى آخر ما وردت به الاخبار فلا يزال الشقي مترددا في جميع احواله بين اصناف
العذاب وهو في جملة الاحوال معذب الا ان يتغمده الله برحمته ولا تظنن ان محل الايمان يأكله
التراب بل التراب ياكل جميع الجوارح ويبددها الى ان يبلغ الكتاب اجله فيجمع الاجزاء المتفرقة وتعاد
اليه الروح التي هي محل الايمان وقد كانت من وقت الموت الى الاعادة اما في حواصل طير خضر او
معلقة تحت العرش ان كانت سعيدة واما على حالة تضاد هذه الحالة ان كانت والعياذ بالله شقية
فان قلت فما السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة **فاعلم** ان اسباب هذه الامور لا يمكن
احصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الختم على الشك والجحود فينحصر سببه في
فنين احدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح في الاعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)